

بنية الاسترجاع الزمني وجمالية اشتغاله - التجليات لجمال الغيطاني - نموذجاً -

د - عرجون الباتول.

جامعة الشلف

المخلص: يحيل الإبداع السردي أو السرد عموماً إلى أي نص قصصي يقوم به السارد كالقصة والأقصوة والأسطورة والمقامة والرواية.

وتعتبر هذه الأخيرة من أهم الأجناس السردية المعاصرة، لما تتضمن من متن حكائي تحوله السردية من صيغته الواقعية الخام إلى مبنى حكائي عبر منطق داخلي تنتظم داخله وتصاغ فنياً الأحداث والشخصيات والفضاءات والأزمنة... المتوفرة الخاضعة لقواعد الكتابة الإبداعية.

ولأن ملتقى آليات تحليل الخطاب السردية قد بئر زاوية نظره على السرد الروائي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة سنحاول أن نعاين البنية الزمنية بالتركيز على بنية الاسترجاع من خلال كتاب التجليات حيث توظف البنية الزمنية، وتشغل بطريقة تجريبية جديدة مبهرة ومدهشة من خلال مداخلة موسومة ب :

بنية الاسترجاع الزمني وجمالية اشتغاله

التجليات لجمال الغيطاني "نموذجاً"

ولما تضمن موضوع الملتقى عدة محاور توظف الإجابة على الإشكاليات المطروحة، سنحاول الجمع بين المحور الثاني "السرديات والمناهج النقدية المعاصرة" والمحور الرابع "مكونات الخطاب السردية الروائي وآليات قراءتها" أين سنحاول الإجابة على إشكاليات هامة منها:

- ما الفرق بين زمن القصة وزمن الخطاب؟
- كيف يمكننا تحديد المفارقة الزمنية؟
- وكيف وظف جمال الغيطاني بنية الاسترجاع بأنواعه الخارجي والداخلي والمختلط في متن رواية التجليات.
- ما جماليات اشتغال هذه البنيات؟

الملخص باللغة الاجنبية:

The literary novel is composed of many components which are the characters ,the place and the time We will try in this article to study Revaluation time By applying the most important arabic novel which is **the visualization of Djamel Al Ghitani and Address of the intervention.**

الكلمات المفتاحية:

- المفارقة الزمنية: anachrony
- العودة إلى الماضي: retrospection
- النقطة الاسترجاعية: flash back
- الاسترجاع: Analepsis
- تراتب الأحداث: ordre
- الاستباق: prolepsis
- الحذف: Ellipsis
- الخطاب: Discourse
- زمن الخطاب: Discourse time
- زمن القصة: Erzählte zeite
- زمن الخطاب: Erzählzeit
- المدة والسرعة: duration
- الخطاب السردى: Narrative discoures

- الحكاية: Fabula

«حتى لا يكون إشكال وتعدد في المصطلح -ترجمت المصطلحات باللغة الانجليزية من كتاب -
المصطلح السردي -ترجمة عابد خزندار -مراجعة وتقديم محمد بريري»

ترجمة لكتاب: A dictionary of Narratology

تأليف: Gerald prince

صادر عن: University of nebraska press 1987

غير أننا اعتمدنا اللغة الفرنسية في متن ورقتنا البحثية لأن الكتب التي اطلعنا عليها في دراسة
الزمن كانت معظمها باللغة الفرنسية إضافة إلى اللغة العربية.

نص المداخلة:

إن عنصر الزمن باعتباره النسيج المشترك لكل فلاسفة العصر وأدبائه يعد المحور والأساس الذي
شكل أهم معالم التطور الحضاري لهذا العرض.

وأدبية الأدب تستلزم أدبياً وفناناً باعتباره المؤهل حقيقة وفعلاً للصنيع الأدبي الجميل ذي الأبعاد
الإنسانية من حيث المعاناة وموقعها من الحياة والتاريخ¹ والمفارقة في العمل الأدبي هي سر جماله
وشعريته حيث تنتظم أحداث القصة المرتبة كرونولوجياً في الواقع ترتيباً مخالفاً غريباً ومفاجئاً في الخطاب
أي "يحدث عدم توافق في الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تحكى فيه"² وقد كانت الانطلاقة
الفعلية الأولى الجادة على يد الشكلايين الروس، وبعد "مقال توماتشفسكي"³ عن نظرية الأغراض معلماً
من معالم درس الزمن، إذ احتوى على مجموعة من الارهاصات التي طورت فيما بعد لتصبح نظرية
مكتملة الأركان.

1-المفارقة بين زمن القصة وزمن الخطاب:

نالت هذه الارهاصات اهتمام النقاد، فقد قاموا بالبحث فيها ليتضح لهم أن أساسها سليمة، وأن
البناء عليها متيسر لكن البنيوية الشكلية التي هي وريث الشكلية الروسية كانت المدرسة الأكثر إفادة من

هذه الارهاصات حيث حملت مهمة تبني هذه الارهاصات وتطويرها خاصة في فرنسا على يد "رولان بارت" و"تزفيطان تودروف" و"جيرار جنيت" وغيرهم.

فتودروف مثلاً متأثر بالشكلايين الروس في تصميمهم للنص من حيث هو متن حكاوي ومبنى حكاوي ويستخدم مصطلح القصة والخطاب.

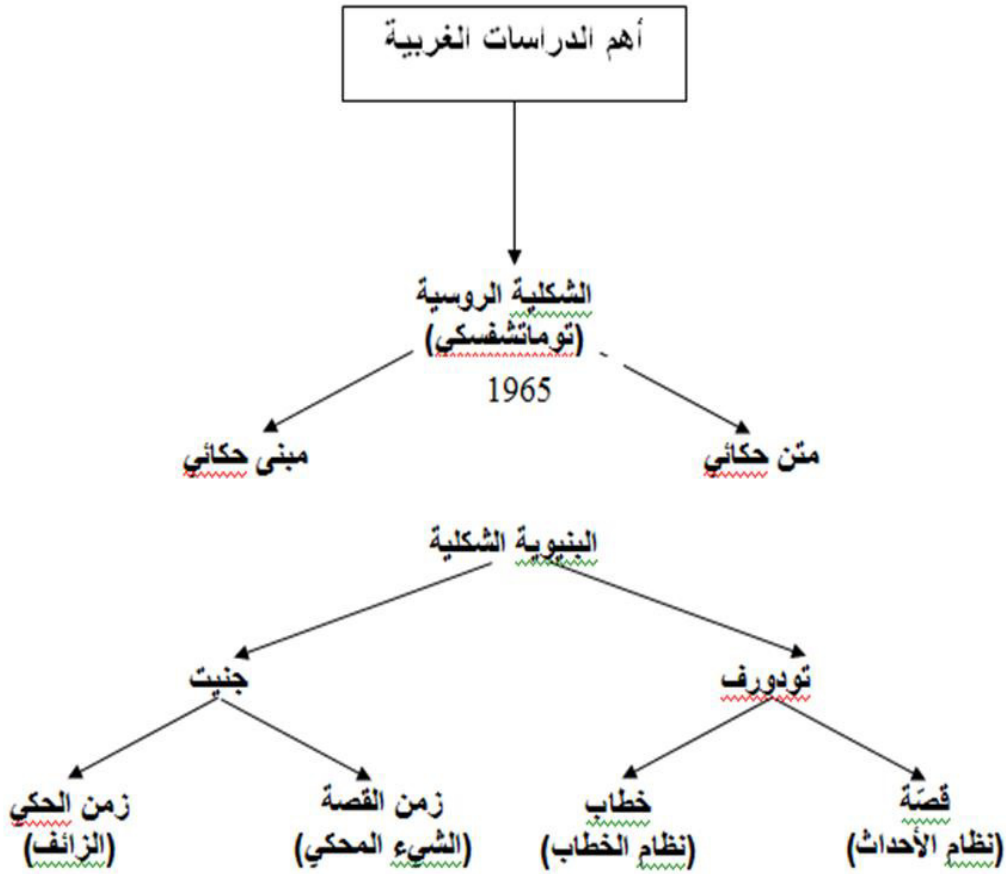
وفي كتابه بـ "تودروف" الشعرية يستخدم نظام الأحداث للتعبير عن الزمن الحكائي أو القصة الخطاب ونظام الخطاب للتعبير عن المبنى الحكائي ويقسم الزمن إلى زمن التخيل زمن القصة وزمن الخطاب.⁴

أما جيرار جنيت في كتابه "خطاب الحكاية" الذي يعد أهم دراسة في الزمن وتطبيقاته على رواية "البحث عن الزمن الضائع" لمرسيل بروست التي يعتبرها رواية زمن لما تحمله من وعي خاص بالزمن وفيها يتبنى تعريفات تودروف وملاحظاته عن العلاقات التي تربط زمن القصة بزمن الخطاب، ولكن جنيت يستخدم مصطلح زمن القصة وزمن الحكاية "الحكاية مقطوعة زمنية مرتين، فهناك زمن الشيء المروي وزمن الحكاية"⁵ يربط هذين الزمنين علاقات ثلاث تتمثل في الترتيب الزمني للأحداث، الديمومة والتواتر ولا يمكننا في هذه الورقة البحثية إلا الحديث وبإيجاز عن الترتيب الزمني للأحداث لأن شروط الملتقى تجعلنا نلتزم بكم محدد.

وفي نفس السياق فإن الباحثين العرب قد اهتموا بذات النقطة وأذكر منهم هنا سعيد يقطين يبحث في كتابه تحليل الخطاب الروائي⁶ عن مفهوم الزمن وتقسيماته في التصور النقدي الغربي، في محاولة للوصول إلى رؤية نظرية وتطبيقية في دراسة الزمن الروائي في النص العربي ويقسم الزمن إلى ثلاثة أزمنة: زمن القصة، زمن الخطاب، وزمن النص، "وفق منظور خطابي متميز يفرضه النوع ودور الكاتب في عملية تخطيب الزمن، أي إعطاء زمن الخطاب بُعداً متميزاً وخاصاً، أما زمن القصة فيبدو لنا مرتبطاً في زمن القراءة، في علاقة ذلك بتزمين زمن الخطاب في النص"⁷، هذا وبالإضافة إلى محاولات سيزا قاسم ويمنى العيد وسلمان ناصر وعبد الملك مرتاض وغيرها.

ولمزيد من التوضيح سنذكر أهم التصانيف الغربية ثم العربية بالرجوع إلى أصحابها من خلال خطاطتين ليتجلى ما يتشابه فيها وما يختلف:

خطاظة 1:

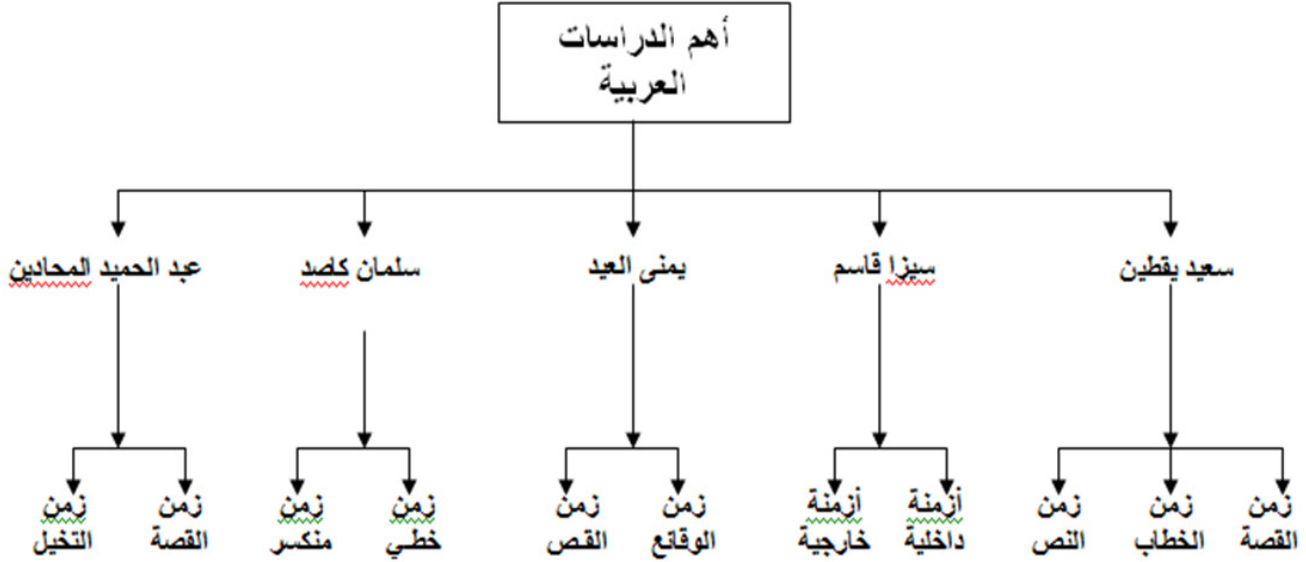


وما يلاحظ أن تقسيمات النقاد الغربيين أنهم لم يختلفوا كثيراً في المفهوم والتقسيم وإنما اختلفوا في التسمية والمصطلح.

خطاظة 2:

وانطلاقاً من الدراسات السابقة في الخطاظة الأولى وبعد الاطلاع والترجمة جاء تقسيمات أهم

النقاد العرب:



من هنا يتجلى لنا في خاتمة المستويات الزمنية المتشابكة داخل فضاء الن السردية أنه على الرغم من بعض الاختلافات والآراء المتباينة والاجتهادات الموضوعية إلا أنها تتفق في معظمها على وجود مستويين هامين انطلاقاً منهما يحدث التلاعب الزمني.

2- تداخل زمن القصة والخطاب داخل نص التجليات:

في كتاب التجليات يمكننا أن نسميه بزمن القصة وزمن الخطاب، باعتبار أن كتاب التجليات يحتوي على عدة قصص ذات مرجعية واقعية يصفها ويغريها الراوي بمصفاته المتميزة ثم ينقلها إلى الخطاب داخل الرواية النواة، تحمل قصصاً متضمنة لكل قصة زمنها الخاص، كما تمثل كل قصة شخصية بطلنة تعكس تاريخها، ولا تنتقل هذه القصص أو الشخصيات الواقعية إلى الخطاب كما هي في الواقع بل تتماهى وتتداخل وتلتقي وتتجاوز لتشكل نسيجاً خطابياً غرائبياً يملك فيه السارد حدية التشكيل المطلقة.

فالسارد يستحضر في مقاطع سردية متقطعة فترات من الزمن كولادة وطفولة وفتوة وشباب لحسين من غير انتظام ويحدد لذلك تاريخ "الخامس من شعبان السنة الرابعة للهجرة" تاريخ إيحائي ثم يتجه إلى

استثنى معاوية بالسلطة وكيدة للحسين، لنصل بعد ذلك إلى بدايات القرن الثالث عشر الهجري حيث يتقاطع ويتداخل زمان مهمان من وتيرة الأب" و"سيرة جمال عبد الناصر".

3- نقطة تحديد المفارقة الزمنية "النقطة الصفر أو نقطة البداية والانطلاق" وراية التجليات:

إن المفارقة الزمنية لا يمكنها أن تكون أو تحدد إلا انطلاقاً من النقطة الصفر كما يسميها جنيت أو نقطة البداية والانطلاق، ومنها تتجلى طبيعة الزمن الروائي التخيلية.

فعلى الروائي أن يختار نقطة يبتدئ بها سرد الرواية، ثم يبتدئ التلاعب الزمني "فلما كان لابد للرواية من نقطة انطلاق تبدأ منها، فإن الروائي يختار نقطة البداية التي تحدد حاضره وتضع بقية الأحداث على خط الزمن من ماضي ومستقبل، وبعدها يستطرد النص في اتجاه واحد في الكتابة غير أنه يتذبذب ويتأرجح في الزمن بين الحاضر والماضي والمستقبل"⁸ إذن فمن النقطة الصفر التي هي الحكي الابتدائي تحدد المفارقة الزمنية التي لا يمكنها أن تكون إلا عودة إلى الوراء أو سيراً إلى الأمام.

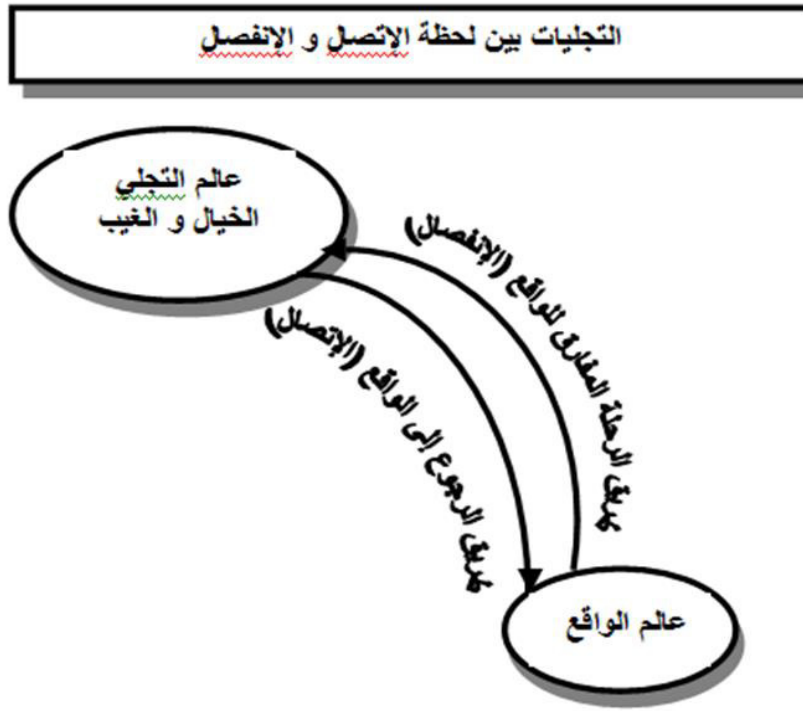
تبدأ أول حركة سردية في رواية التجليات بعد البسمة والدعاء "عفوك ورضاك يا غفور يا كريم يا رب وهي:

«فلما رجعت بعد أن لم أستطع صبراً: وكيف أصبر على ما لم أحط به علماً»⁹

إذن الحركة السردية الأولى أو النقطة الصفر لهذه الرواية هي "الرجوع" وهذا الرجوع يعتبر شفرة مهمة في هذه الرواية، يدل على أن المؤلف كان في مكان ما وعاد إلى موطنه الأصل حيث الاستقرار، وبعد رجوعه بدأ يسترجع ما حدث في رحلته يقول «لما اكتمل إيابي فرغت إلى نفسي أستعيد واسترجع بينما زمن المحن يلوح ويبدو ... عدت بعد أن نعمت بأجمل صحبة وأنعم عليا مولاي بالرفقة، بعد أن علمني بعضاً مما لا أعلم، رجعت بعد فراقى للأهل والوطن، بعد أن قطعت اليباب واخرقت الحجب وتساقطت أمامي كل الحواجز التي لا تقدر على اجتيازها الطبيعة الإنسانية، وأنا مفطور على الرحيل الأبدى، فلا استيطان لي أصلاً وأبداً»¹⁰.

بعد الرجوع من رحلته العجائبية الصوفية بدأ يسترجع ذكريات الرحلة ثم فكر في تدوين رحلته قائلاً: "رجعت فهان عليان أن يتلاشى كل ما رأيت، فعكفت ودونت، لعلني آتي مما رأيت بقبس، أحيانا وضحت وأحيانا رمزت ولحوت. سترت وما أفصحت"¹¹

إذا كتبت التجليات في الواقع لحظة الاتصال لما حدث لحظة الانفصال بهذا الشكل:



بعد الرجوع و الاتصال تم تنويع التجليات أي إسترجاع ما حدث أثناء الرحلة

من هذا المخطط تضح أكثر النقطة الصفر «فلما رجعت» لحركة معلنة عن طريق سفارة الراوي وهو شرطي الخطاب.

4- توظيف البنية الزمنية:

تطرح إشكالية السوابق واللواحق على مستوى تقنيات توظيف الزمن السردي، أي على مستوى تتابع الأحداث، وتحيل القارئ إلى طريقة الراوي في سرد الحكاية وكما ذكرنا سابقاً يعتبر جيران جنيت أهم من أشار إلى هذه التقنيات "إذ قدم عملاً تحليلياً واعياً للأجزاء المجهرية في آلية السرد الروائي انطلاقاً من المؤلفات الروائية لمارسيل بروسست Marcel proust من خلال روايته المشهورة البحث عن الزمن الضائع "A la recherche du temps perdu" وانطلاقاً من هذه الدراسة التي قام جنيت حول هذه الرواية،

اتخذ درس الزمن شكل النظرية الكاملة خاصة في كتابه الصور III، حتى أصبحت هذه النظرية مركز استلها من قبل الباحثين الذين اعتمدوا تصوره عن الزمن السردي، وحاولوا تطبيقه على نصوص عديدة ومختلفة، وكشفت أبحاثهم عن غنى هذا التصور وكفايته في الرصد والتحليل.

وعلى الدارس كلما أراد أن يبحث في طريقة الزمن الروائي أن يصنف الأحداث حسب المستوى الذي تطرح فيه، ومن المعروف أن السرد الروائي ليس سرداً تتابعياً بحتاً، ففي أغلب الأحيان تتداخل هذه المستويات، ويقوم الكاتب بتقديم الأحداث وتأخيرها وهذا ما يسمى (بالتلاعب الزمني) الذي أصبح تقنية من التقنيات الشائعة في الرواية المعاصرة وهو نمطان:

- بنية الاسترجاع ¹² Analépsé أو

- بنية الاستباق prolépsé

4-1- بنية الاسترجاع: Analépsé

أو الإحالة إلى الوراء كما تسمى اللاحقة أو الإحياء وغيرها، هو من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضوراً وتجلياً وحتى في القرآن الكريم نجد الدلالة على الزمن الماضي هي الأكثر ودروداً وانتشاراً، ويعتبر الاسترجاع هو دائرة النص من خلاله يتحايل الراوي في الرواية على التسلسل الزمني.

إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي ليصبح جزءاً لا يتجزأ من نسيجه.

والذي يجب الإشارة إليه هنا أن هذا الاسترجاع والعودة إلى الوراء يتميز بمستويات مختلفة ومتفاوتة من ماضٍ بعيد وقريب ومن ذلك نشأت عدة أنواع من الاسترجاع منها:

- استرجاع داخلي.

- استرجاع خارجي.

- استرجاع ممتزج.

4-2- بنية الاسترجاع الداخلي في رواية التجليات:

نعين بجلاء بنية الاسترجاع الداخلي في كتاب التجليات فنلاحظ لأول وهلة قلته لأن ما وجد من أحداث يقتصر مداهما داخل الحركة الأولى قليل بالنسبة إلى الخارجي وقد وضعنا سالفاً، أن الرجوع بالضبط هو أول حدث سردي تبتدئ بعده كل التلاعبات الزمنية.

أول حركة بعد الرجوع هي استعادة أحداث الرحلة التي ستكون كل أسفار التجليات، أما الاسترجاعات الداخلية فهي قليلة نوعاً ما، منها ما جاء في التمهيد للتجليات:

- عكفت ودونت ص 6.
- تساءلت هل أتى عليا وعلى تجلياتي حيناً من الدهر لم نكن شيئاً ص 6.
- غير أنني امتثلت فعكفت على إعادة تدوين كتبت.... ص 7.

كما يجب أن ننوه هنا أو ننبه إلى أن دراسة البنية الزمنية للنص الروائي "لا يمكن أن تكون شاملة في الرواية لأن المفارقات الزمنية متجلية في كل وحدة من وحدات الرواية وبكثافة من أصغرها حجماً وهي الجملة إلى أكبرها اتساعاً وهي الرواية، ولو أن الغيطاني يريد أن يوهنا بتحقيق العجيب ويسعى إلى تفسير تقنيات الزمن المتعارف عليها، إذ أنه يقدم لنا هذه الاسترجاعات على أساس أنها حاضر، لأن السارد يحكي من الماضي، وهو حاضر فيه، لكن سرعان ما ينقلب خيط الذاكرة من ذهنه فلا يستطيع أن يكمل، وهذا ليس إلا تلاعب ومفارقة وما حياة بعض الشخصيات داخل الرواية إلا استرجاعاً يعهم بالراهن، ورواية التجليات لا تشبه الروايات المألوفة لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون، لها حرية مطلقة في القفز من زمن إلى زمن، وإضفاء التماهي على الأزمنة، وقد بلغ عدد صفحات هذه الرواية أو الكتاب بأسفاره الثلاث ما يفوق الثمانمائة صفحة ما يؤكد صعوبة أو استحالة إن صح التعبير إحصاء كل تلاعباتها ومفاراتها.

4-3- بنية الاسترجاع الخارجي: L'anlépsie externe¹³

هو عودة الماضي والوقائع التي حدثت قبل النقطة الصفر حاضر التلفظ حيث يستدعيها الراوي في أثناء السرد، وتعد زمنياً خارج الحقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في الرواية.

ويبقى الاسترجاع الخارجي مقصوراً على الاستحضارات التي تبقى في جميع الأحوال وكيفما كان مداها، خارج النطاق الزمني للمحكي الأول، خلافاً للاسترجاعات الداخلية التي تظل منحصرة داخله.

كتاب التجليات وغرائب الرحلة المدونة استرجاعاً:

يشير جمال الغيطاني إلى استرجاعات الخارجية صراحة عندما يقول:

"فرغت إلى نفسي أستعيد واسترجع"¹⁴ تبدأ هذه الاسترجاعات مباشرة مع التجليات الأولى وهي "تجليات الفراق" يعتبر كل ما جاء في هذا السفر الأول استرجاع خارجي لما جاء في أثناء الرحلة من بدايته حتى نهايته.

السفر الثاني أيضاً استرجاع خارجي يواصل فيه السارد تدوين ما جاء في رحلته. وفي الصفحتين الأخيرتين يتحد الزمان زمن القصة وزمن الخطاب وتعود إلى النقطة الصفر في تواليها الحدتي "عند هذا الحد أضطر إلى الكتمان وأنهى السفر الثاني من كتاب التجليات"¹⁵.

بهذه الفقرة تتوقف عجائبية الرحلة المدونة استرجاعاً من طرف السارد، مدوناً بذلك لحظة توقف تداعي ذكرياتها والرجوع إلى حاضر التدوين.

مع السفر الثالث الذي وعد به المتلقي يتنافر الزمان مرة أخرى مع البعديات الخارجية الكاملة إلى آخر صفحة من السفر الثالث الذي يتحد فيه الزمان للمرة الأخيرة.

"كان الفراغ منه ليلة الاثنين الموافق لسادس أبريل ألف وتسعمائة ستة وثمانين المنقضي على ميلاد السيد المسيح، السابع والعشرين من رجب، عام ألف وأربعمائة وستة، المنقضي على هجرة من لانت له الأرض وضلته الغمامة وبكى الغزال بين يديه، فبادروا!"¹⁶

كما ويتحد الزمان في بعض الأحيان داخل القصة عندما يتوقف السارد من الحكي لمخاطبة المتلقي كأن يقول مثلاً:

"أيها المتلقي الكريم والولي الحميم، فالحواجز كلها مرفوعة أمامي منذ ولوجي الديوان"¹⁷ وهنا يكون اتحاد الزمان في الواقع حيث مخاطبة المتلقي، ولكن قلما يتحد الخطاب بزمن القصة ستعود الأحداث لتواليها الحدتي، وهذه البعديات الخارجية الكاملة هي استرجاع لرحلة عجائبية عاشها السارد بعد فراقه

للأهل والوطن. بعد أن قطع اليباب واخترق الحجب، وتساقطت أمامه كل الحواجز التي لا تقدر على اجتيازها الطبيعية الإنسانية.

4-4- بنية الاسترجاع المختلط "L'analyse mixte"¹⁸ في رواية التجليات:

يعني العودة إلى الوراء إلى نقطة سابقة على نقطة الانطلاق ولكنها تستمر تصاعدياً حتى تتجاوز نقطة الانطلاق، وصولاً إلى النقطة التي توقف عندها السرد وقد لا تصل إلى نقطة التوقف هذه "فهو خارجي باعتباره ينطلق من نقطة زمنية تقع خارج المحكي الأول وهو داخلي أيضاً بحكم امتداده ليلتقي في النهاية مع بداية المحكي الأول"¹⁹.

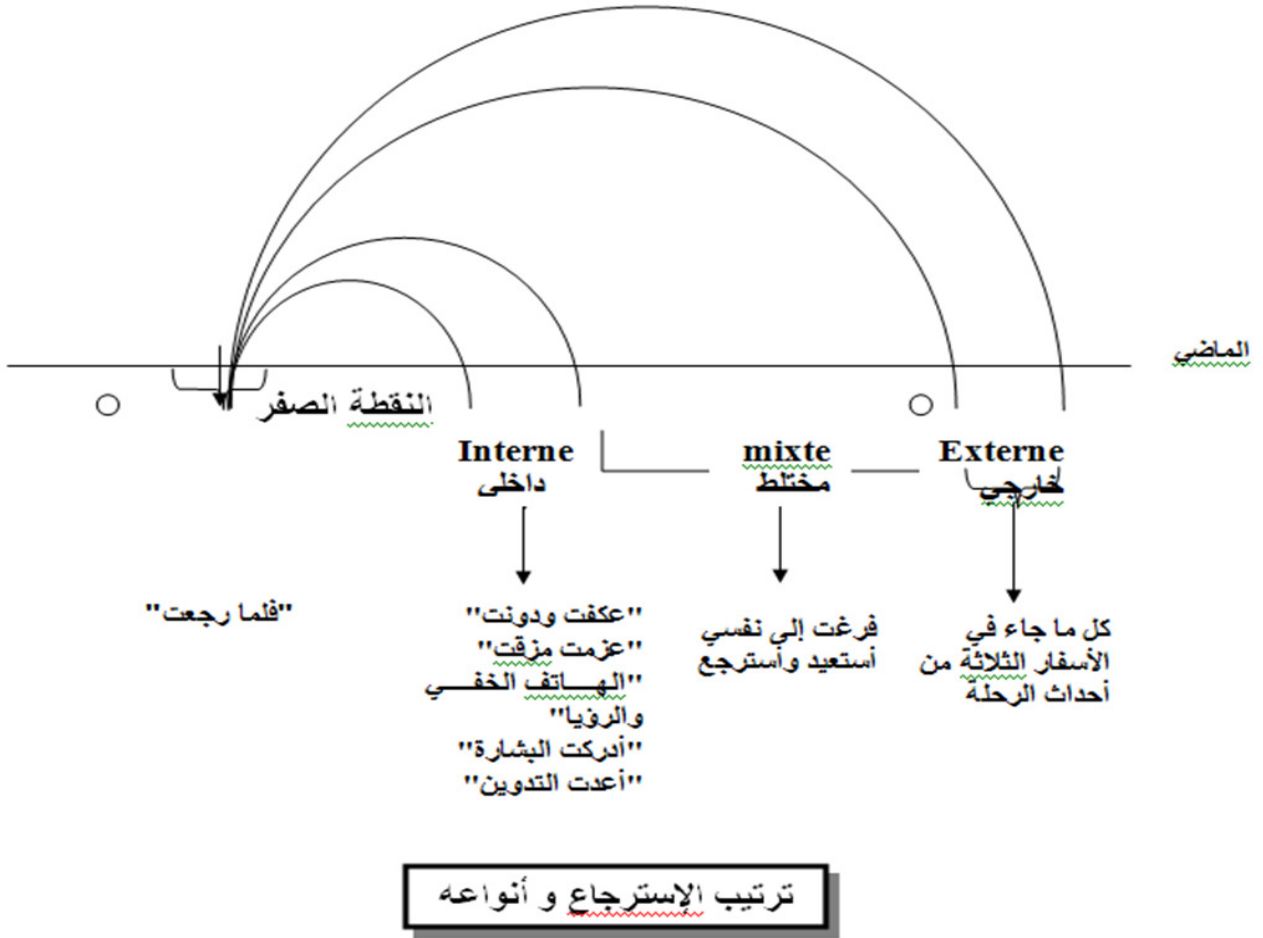
أما بالرجوع إلى النموذج "التجليات" فإذا قسمنا هذا النوع من الاسترجاع على الرواية الكبرى أو إن صح التعبير "التمفصلات الزمنية الكبرى نجده قليل لأن جل الرواية خارجية، أما إذا قسمناه على القصص الصغرى المتضمنة فإننا نجده بكثرة، المهم أن يكون هذا النوع بالنسبة لنقطة الصفر الكبرى؟.

إنه موجود في التمهيد عندما يقول السارد: "فرغت إلى نفسي استعيد واسترجع"²⁰ فهنا يجلس السارد مع نفسه بعد رجوعه من الرحلة يعني أن هذا الفراغ إلى النفس لا يتجاوز خطة الرجوع الأولى، ولكنه بقوله أستعيد وأسترجع فإنه يتجاوز خطة الرجوع الأولى ويستمر إلى أحداث الرحلة وما تخللها من أسفار ومواقف هو إذن استرجاع مزجي يخلط بين استرجاعين بالعودة إلى نقطة سابقة على نقطة الانطلاق ومستمرة في نفس الوقت إلى أن تتجاوزها.

وقد وضحت فبريال قوردو، أنواع الاسترجاع الثلاثة في كتابها تحليل الخطاب السري analyse du discours narratif من خلال الخطاطة التي سنحاول قياسها على التجليات:

Analyses

الاسترجاع



4-5- جمالية اشتغال بنية الاسترجاع في رواية التجليات لجمال الغيطاني:

وقبل الخروج من الاسترجاع والانتقال إلى تقنية أخرى علينا الإشارة إلى اشتغال الاسترجاع في كتاب التجليات والدور الذي لعبه وجمالية توظيفه وتلقيه.

له وظائف جد هامة في الرواية، منها ما يخص الخطاب الأدبي و منها ما يخص القارئ أيضاً ما يخص الشخصيات.

1. يستذكر السارد بعد موت أبيه نظراته الأخيرة العميقة التي لم يعرف قيمتها الدلالية إلا بعد فوات

الأوان " التفت إلي وأطال كمن لم يتزود أو ليثبت ملامحي في ذهنه الذي سينأى ولا ندري، ثم أغدق

علينا نظراته النسيمية، وتلك لا يمكن النفاذ إلى كنهها، لحظة ترققها، لكنّها تفصح للغافل بعد تمامها، وبعد انقضاء أوانها، فسبحان من له الدوام، وإذا أوتي الإنسان نقاء البصيرة، وصفاء الرؤية، وشدة التدقيق، فربما يسأل نفسه: لماذا يتطلّع إلي هكذا ؟ ولا تلوح الإجابة من طيّ الحجب وربما تشي بفحواها بعد فوات الأوان، وآه من الفوت، وعدم القدرة على إدراك الشيء في حينه، ليت الجاهل بما ليس يدري²¹ .

وظيفة الاسترجاع هنا هو الإجابة على تساؤلات لم يملك السارد القدرة على معرفتها في حينها. فكثيراً ما يأتي التذكير بأحداث ماضية وقع إيرادها فيما سبق من السرد أي "عودة السارد بصفة صريحة أو ضمنية إلى نقطة زمنية وردت من قبل" ويسمى هذا الصنف باللواحق المكررة أو التذكير *Analepsies* أو *répétitives ou rappelles*، ولهذه اللواحق وظيفة جد هامة رغم ضعف حجمها النصي *Volume textuel*²² وهذه المقاطع النصية لا تُساعد على تقدم السير، إذ هي تبرز القيمة الدلالية الخاصة لبعض عناصر الحكاية.

2. وكثيراً ما جاءت الاسترجاعات في التجليات لتزويد المتلقي بمعلومات تجعله يستوعب الرواية "ولم يطرق لويس جفني، وهنا فائدة لا بد من إبرازها.

فمنذ رضاء الديوان عني، والسماح لي، فقد إنتفت عني بعض الصفات الجسمية المصاحبة للطبيعة الإنسانية ومن ذلك دوام يقضتي وانتفاء النوم

عني، فلا نوم ولا إغفاء، إنما يقضة دائمة يتوهج خلالها وعي كأنه ضوء ساطع وهذا ما لم يعانيه بشر وما لم يعرفه إنس من قبل، ربما يشحب هذا الضوء ويهن لكنه لا ينقطع. أما النقلات فمفاجئة. وهنا يجب أن أفصح قليلاً أيها القارئ الكريم والولي الحميم، فالحواجز كلها مرفوعة أمامي، ومنذ ولوجي الديوان، فلا زمان ولا مكان، ولا حاجزاً حسياً ولا حاجزاً شعورياً، ولا حاجزاً أرضياً ولا فلكياً، ومن

ذلك انتقالي ببسر مع أنفاسي...²³ وهنا نلاحظ أن الاسترجاع قد تم توظيفه لتزويد القارئ " بمعلومات تكملية تُساعده على فهم ما جرى ويجري من أحداث، إنه يمثل نوعاً من التمازج والتناظر على مستوى المحكي. فهو إذاً مستوى حكاية مُخالف لمستوى المحكي الأول"²⁴.

3. كما يلجأ الكاتب من خلال الاسترجاع الخارجي لملء فراغات زمنية تُساعد على فهم مسار الأحداث. فكثيراً ما كان السارد في التجليات يمر على فترات دون الإشارة إليها. ولكن إذا شعر بالحاجة إلى تفسيرها يرجع ويوضحها. ولما كانت عودته إلى الوراء بعيدة جداً حيث يرجع السارد إلى عصور ماضية عتيقة ليعاين أهم أحداثها وهنا كان لابد عليه أن يترك فراغات كبيرة قد تساوي مئات أو آلاف السنين ولا يهتم لها إذا لم تكن مهمة في تدعيم موضوعه.

4. وإذن أيضاً أنّ من فوائد الاسترجاع الخارجي فائدة التدعيم، حيث غالباً ما يرجع الراوي إلى أحداث ماضية تاريخية تدعيماً لروايته وللقيمة المراد تحقيقها من الموضوع.

5. يحتاجه الكاتب أيضاً في العودة إلى شخصيات ظهرت بإيجاز ولم تتسع البداية لتقديمها وعرض خلفيتها وطبيعة علاقتها بباقي الشخصيات الأخرى (أو عندما يتعلّق الأمر بشخصية اختفت أو غابت عن مسرح الأحداث لفترة زمنية ويودُّ السارد استحضار ما مرّ بها أثناء هذا الغياب)²⁵، مثل أن يُقارن السارد بين وضعية البطل الحالية ووضعيته في بداية الحكاية سواء ذلك لإبراز التشابه بين الوضعيتين أو اختلافهما.

والعودة إلى الماضي الخارجي يكون القصد منها لفت انتباه القارئ الذي قد يُغيّر تأويله (لتفسرها تفسيراً جديداً في ضوء المواقف المتغيرة أو لإضفاء معنى جديداً عليها مثل الذكريات كلما تقادمت تغيّرت نظرتنا إليها أو تغيّر تفسيرها في ضوء ما استجد من أحداث. والأحداث بالابتعاد يختلف معناها، حيث أن الحاضر يضيف عليها ألواناً جديدة وأبعاداً متغايرة. تكون المقارنة

والمقابلة بين الماضي الخارجي والحاضر الروائي إشارة إلى مسار الزمن ومقاماً لإبراز معالم التغيير ومواضع التحول، كيف كانت الأحوال في الماضي وكيف أصبحت؟ فالعادات تتغير أو تظل كما هي ولكنها تكتسب معناً جديداً أو تفقد معناها كليا²⁶.

هذا ما أرقّ الكاتب وما زحرت به الرواية، كمقارنة مصر في زمن جمال عبد الناصر ومصر في زمن التجلي الذي غابت فيه القيم. لعقد هذه المقارنة جاء الغيطاني بحيلة مفارقة لحيل الأدباء المتعددة. حيث جعل الميت يحيا. ليسأل أهله عن أمانته التي ضحى في حياته من أجلها " في هذا التجلي رأيتُه بلا حرس، بلا مصورين، بلا ضجيج، يفوق وجوده المادي، بوجود غير مرئي. الناس ماضون لا ينتبه أحد، لا يلتفت أحد، اندفعت اتجاهه، رأي إقبالي، تحول بعينه ناحيتي، ولاحظت أنه منهك، متعب، قلت محملاً صوتي معاني الحنين الذي لا يمكن تفسيره، والتفسيرات المطلوبة والكلام المدفونة... إيه كيف حالك...مالك؟

هل تعرفني...

ومن لا يعرف من لا يعرف؟

هز رأسه و هنا لاحظت المشيب طقّ في رأسه كلّه.

إذن... أنا في مصر...

دهشت... صاح...

ولكنّي أرى ما لا يجب أن يرى.

توقف لحظة... ثمّ بدأ ينطق كلماته في خزائن الحيرة و التساؤلات...

ها اخترق الإسرائيليون الجبهة ؟

قلت: لا

هل وصلت جيوشهم إلى القاهرة ؟

قلت: لا

قال: ماذا أرى، إذن فسّر لي، اشرح لي، تأخرتمونا في الزمان، وتقدمناكم، أجبني، أليست هذه

أعلامهم؟ أليس هؤلاء سيّاحهم ؟ أليست هذه كتبهم و صحفهم؟²⁷

بهذه اللعبة الفنيّة قارن السارد بين الماضي و الحاضر مقارنة كانت نتأجها:

أنّ الإنسان ينسى و ينسى إن الأمانة التي ضحّى من أجلها آباؤنا وأجدادنا من دين وعرف
وتقاليد وأرض وأخلاق...قد ذهبت طيّ النسيان.

ومثلما تتحدد بنية الاسترجاع تتحدد أيضا بنية الاستباق "وكنا نتمنى لو تحدثنا عن هذا الأخير
في هذه الورقة البحثية أيضا لو لم نلزمنا بكم محدد" والمفارقات تتشابه في إحداث هذا التذبذب الزمني
وانزياح الزمن عن مساره الكرونولوجي، لكن نلمح بعض الاختلافات في البنية حيث المقطع الاسترجاعي
الحكائي ينيّر الماضي ويمنحه استمرارية الحضور وبالتالي قد يدوم سنين طويلة على مستوى صفحات
عديدة في حين الاستباق ليس إلا إشارات قصيرة لا تتجاوز الصفحة أو الصفحتين، موضوع اخر له
أهميته في درس الزمن سنحاول معاينته في أبحاث لاحقة بإذن الله.

¹-ميشال عاصي: الفن والأدب، مؤسسة نوفل، ص72.

²- جيرالد برانس: المصطلح السردي، ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد بريري، المشروع القومي للترجمة، إشراف
جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، ص24.

- ³ - ناصر الرازق الوافي: القصة العربية عصر الإبداع، دراسات لسرد القصص في القرن الرابع الهجري، دار النشر، مصر، ص150.
- ⁴ - يراجع: تزفيطان تودروف: الشعرية، ترجمة: شكري مبخوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص15.
- ⁵ - جيرار جنيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتم، عبد الجليل الأردني، عمر الحلبي، منشورات الاختلاف، ص45.
- ⁶ - سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1997، ص80.
- ⁷ - سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط3، 1997، ص89.
- ⁸ - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص41.
- ⁹ - جمال الغيطاني: التجليات الأسفار الثلاثة، دار الشروف، ط2، 2005، ص5.
- ¹⁰ - جمال الغيطاني: التجليات، ص5-6.
- ¹¹ - جمال الغيطاني: التجليات، ص5.
- ¹² - يراجع: G. Genette, figures III -ed- seuil 1972, p90.
- ¹³ - G. Genette, figures III, p90.
- ¹⁴ - جمال الغيطاني: التجليات، ص5.
- ¹⁵ - جمال الغيطاني: التجليات، ص503.
- ¹⁶ - جمال الغيطاني: تجليات، ص15.
- ¹⁷ - جمال الغيطاني: التجليات، ص27.
- ¹⁸ - سيزا قاسم: بناء الرواية، ص58.
- ¹⁹ - Magnard' gabriel gourdeau, analyse du discours narratif, p21.
- ²⁰ - جمال لغيطاني: التجليات، ص5.
- ²¹ - جمال الغيطاني - التجليات - ص12-13.
- ²² - سمير مرزوقي، وجميل شاكر - مدخل إلى نظرية القصة. ص84-85.
- ²³ - جمال الغيطاني-التجليات- ص28.
- ²⁴ - عبد العالي بوطيب. إشكالية الزمن في النص السردى. ص135.
- ²⁵ - عبد العالي بوطيب. إشكالية الزمن في النص السردى. ص135.
- ²⁶ - سيزا قاسم - بناء الرواية - ص59.
- ²⁷ - جمال الغيطاني - التجليات - ص12-13.